بسم الله الرحمن الرحيم

التطابق بين مراتب الكشف و الشهود و مراتب خطيئة آدم عليه السلام في آثار السيد الإمام الخميني قدّس سرّه

فاطمة آل يوسف[1]

أ.د. بو الحسني[2]

الخلاصة

عرّف السيد الإمام الكشف و الشهود تعريفا يتناسب مع تفسيره قدس سرّه لخطيئة آدم عليه السلام. صحيح أن خطيئة آدم ترتبط بقوس النزول، و الكشف و الشهود يرتبط بقوس الصعود، إلا أنّ خطيئة آدم تؤسس لقوس الصعود و تحدد كيفية العوْد (كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ)[3]، يرى السيد الإمام أنّ من يدرك حقيقة خطيئة آدم فإنه سوف يدرك كيفية العوْد إلى جنة آدم أي جنة الفناء في الله و البقاء بالله سبحانه و تعالى.

يرى السيد الإمام أنّ خطيئة آدم قد بدأت من تعليم الله الأسماء لآدم و أنّ مراتب الخطيئة كانت التوجه للكثرة الأسمائية و هي باطن الشجرة المنهية، و بذلك يهبط آدم من جنة الفناء الذاتي إلى جنة الأسماء. ثم تمتدّ هذه الخطيئة امتدادا ظلّياً و تتجلى في توجه آدم إلى عبوديته المطلقة لله سبحانه و تبعيّته التامة له عز و جل لما علّمه الله سبحانه إياه، مما جعله يهبط من جنة الأسماء إلى جنة الأعيان الثابتة التي هي صور الأسماء و لوازمها، و مع شهود آدم الحقائق أي تلك الأعيان الثابتة للمخلوقات ظهرت قوى آدم الملكوتية الداخلية و الخارجية، و من القوى الخارجية قوة الشيطان الذي هو خيال الكلّ، هذا ما يؤهله للاستخلاف الإلهي الذي يستلزم توجه آخر من آدم و هو التوجه إلى تدبير المُلك فنزل من جنة الأعيان الثابتة إلى جنة العقل. إنّ هذا التوجه القهري للتدبير في عالم المُلك يستلزم ظهور الكثرة في عالم الخلق، فظهرت الصور الملكوتية المثالية للمخلوقات و هذا يعني نزول آدم إلى جنة عالم المثال و الملكوت، ثم ظهرت الصور المُلكية الطبيعية و التي منها الذرية من بني آدم و الثمار بأنواعها. هذه هي مراتب الشجرة المنهية.

لقد أُهبط آدم لعالم الطبيعة ليفتح باب التكامل الانساني، فإنّ للسير و السلوك مراتب تتطابق مع مراتب خطيئة آدم عليه السلام في آثار السيد الإمام قدّس سرّه، تبدأ في قوس الصعود من إسقاط حجاب عالم الطبيعة و شؤونه و الذي ينطلق من حب الدنيا و التعلق بها، يبين السيد الإمام أنّ إسقاط هذا الحجاب يتم بالتعلق بعرش الله و رحمته سبحانه، و بمقدار ما يتمكن السالك من إسقاط حجاب عالم الطبيعة فإنه يشاهد الصور المكلوتية أي يعرج في عالم الملكوت و عالم المثال، إلا أنه يجب أن لا يكتفي بهذا العروج و لا ينشغل بمكاشفات عالم المثال، و عليه أن يطهّر قلبه و عقله عن كل تعلق بالكثرة حتى لو كان هذا التعلق من أجل هداية الغير و الاستخلاف، و أن يصبغ هذه الهداية بصبغة الله و يراها في محيط الرحمة الإلهية، و يشاهدها في أفق النبوة و الولاية كي يرِد عالم الروح و يشاهد أنّ كل تلك المظاهر هي مظاهر الأسماء الإلهية بل هي مظهر اسم الله الأعظم بل هي آيات و ظلال للذات

---

[1] طالبة دكتوراه في العرفان في فكر الإمام الخميني قدس سره، في جامعة الأديان و المذاهب بقم المقدسة.

[2] أستاذ قسم العرفان في جامعة الأديان و المذاهب بقم المقدسة، و قد أشرف على كتابة المقالة.

[3] الأعراف / ٢٩.

الإلهية، و بذلك تكتمل عند السالم مراتب الطهارة و تقوم قيامته الأنفسية الكبرى، حيث يصل إلى جنة الفناء الذاتي، جنة أبينا آدم عليه السلام.

الكلمات المفتاحية:

الشجرة المنهية، علّم آدم، خطيئة آدم، معصية آدم، الكشف، الشهود، الخلافة، الكثرة الأسمائية

مقدّمة

إن الانسان مفطور على توحيد الذّات الإلهية بمعنى أنّه قد تنزّل من ذلك المقام الرفيع الشامخ إلى عالم الأرض و الطبيعة، و قد بحث الكثير من المفكرين و خصوصا أصحاب الأديان الإلهية فلسفة هبوط الانسان من جنة القرب الإلهي و علاقة ذرية آدم بالذنب الذي ارتكبه أبيهم آدم عليه السلام، و طبيعة ذلك الذنب و تلك الخطيئة، كل هذه الأبحاث تدلّ على أنّ حياة الانسان لا يمكن أن تنفك عن السير و السلوك لله سبحانه و تعالى و طلب الرجوع إلى حضرة القدس و القرب الإلهي.

يعتقد أتباع الدين المسيحي و اليهودي أنّ خطيئة آدم شملت ذريته أيضاً[1]، و يتفق معهم بعض العرفاء المسلمين أمثال السيد الإمام الخميني، و لكنه يختلف عنهم في تفسير كيفية اشتراك الذريّة في تلك الخطيئة بل حتى في تفسير خطيئة آدم.

يُعدّ السيد الإمام الخميني قدس سره الشريف من أبرز من اهتم في العصر الحاضر بقصّة آدم، و قد ذكرها في موارد كثيرة جدا و في جميع كتبه و مؤلفاته؛ بل صرّح برغبته في تأليف خاص بهذه القصة[2] و أكّد في عدة موارد على أهمية التأمل فيها، خصوصا في ما يرتبط بخطيئة آدم و أن من خلالها يمكن للانسان مشاهدة الحقيقة و هي أنّ كل هذه العوالم و التنزلات من عالم الطبيعة و عالم المثال و عالم العقل الكلّي و النفس الكليّة هي مظاهر للأسماء، بل حتى عالم الأسماء الجزئية و الكليّة هي مظاهر و تجليات لحقيقة واحدة هي الذات الإلهية. و يرى السيد الإمام أنّ خطيئة آدم قد بدأت من تعليم الله الأسماء لآدم عليه السلام و أنّ مراتب الخطيئة كانت التوجه للكثرة الأسمائية و بذلك يهبط آدم من جنة الفناء الذاتي إلى جنة الأسماء، ثم تمتدّ هذه الخطيئة امتدادا ظلّياً و تتجلى في توجه آدم إلى عبوديته المطلقة لله سبحانه و تبعيّته التامة له عز و جل لما علّمه الله سبحانه إياه، مما جعله يهبط من جنة الأسماء إلى جنة الأعيان الثابتة التي هي صور الأسماء و لوازمها، و عندما أحاط آدم بالأعيان الثابتة أصبح مؤهّلا للخلافة فامتدت خطيئته عليه السلام عندما توجه للاستخلاف و تدبير المُلك و هكذا استمرّ آدم في التنزل و الهبوط إلى أن هبط إلى عالم الطبيعة، ليفتح باب التكامل الانساني، و يرى السيد الإمام أنّه لو لم يرتكب آدم هذه الخطيئة بكل مراتبها لسقط من الآدمية و لما فتحت أبواب الكمال الانساني و لاحترق في جنة الفناء الذاتي و الوحدانية دون أن تظهر معالم للانسان و الأكون و العوالم.

تم تقسيم المقالة إلى بحثين ، المبحث الأول يهتم ببيان تفاسير السيد الإمام لخطيئة آدم عليه السلام، و التي تم ترتيبها حسب النظم العرفاني لمراتب التجليات، أما المبحث الثاني فإنه يهتمّ ببيان الكشف و الشهود عند السيد الإمام و بيان أوجه التطابق بين مراتب الكشف و الشهود عند السيد الإمام و مراتب خطيئة آدم عليه السلام.

---

[1] آداب الصلاة (فارسي)، ص٧٢.
[2] آداب الصلاة (فارسي)، ٧٥.

لقد حاولت تقصّي و جمع كلمات السيد الإمام عن خطيئة آدم عليه السلام من جميع آثاره، و قد صرّح السيد الإمام في موردين من مؤلفاته أن لخطيئة آدم مراتب و مظاهر، تمّ تنظيم تلك المراتب حسب النظم العرفاني و ذلك لأن السيد الإمام ذكر خطيئة آدم في أنساق عرفانية ثم حاولت تطبيق ما جاء في آثاره عن طريقة السيرو السلوك بطريق الكشف و الشهود على مراتب خطيئة آدم عليه السلام.

المبحث١: تفاسير السيد الإمام لخطيئة آدم عليه السلام

لم تكن خطيئة آدم كخطيئة غيره من بني البشر، إنما هي خطيئة طبيعية ، ينقل السيد الإمام عن أستاذه الشاه آبادي أن آدم كان مجذوبا إلى عالم الغيب و مقام القدس، و هذه الحالة تسلب آدم آدميته. لقد كان آدم في حالة الجذبة في الجنة و لو بقي في تلك الجذبة لسقط من الآدمية و لمَا نال السير الكمالي الذي ينبغي له في قوس الصعود و لمَا انبسط بساط الرحمة في هذا العالم. لكن الإرادة الأزلية تعلَّقت بانبساط بساط الرحمة و النعمة في هذه النشأة و فتح أبواب الخيرات و هذا لا يحصل إلا بخروج آدم من جنة اللقاء و المحو إلى الصحو و ظهور التعينات و الكثرات[١].

و بما أن أصل كل الكثرات هو أسماء الله فإنه يمكن القول بأن خطيئة آدم بدأت من تعلم الأسماء[٢]، لأن التوجه إلى الأسماء يؤدي إلى الانقطاع عن جذبة الفناء في الذات الإلهية التي هي هوية آدم و حقيقته، حيث لا أغيار في ذلك المقام الشامخ[٣].

من لوازم تفعيل أسماء الله و ظهورها في آدم على نحو الكثرة، ظهور قوى آدم الداخلية و الشيطان الخارجي، التي دعته إلى تلك الشجرة التي هي مبدأ بسط الكمالات و منشأ فتح أبواب الفيوضات، و هنا لابد من بيان الفرق بين الوحدة و الكثرة بالتأمل في عبارات السيد الإمام عندما ميَّز بين الشجرة الطيبة و الخبيثة و الشجرة المنهية.

الفرق بين الشجرة الطيبة و الشجرة الخبيثة و المنهية[٤]

يذكر السيد الإمام أن للأسماء وجهين، وجه وحدة و هو وجهها الوجودي الحقّي و هو وجه ما يلي الربّي ، حيث لا تتمايز الأسماء عن بعضها البعض، و لها وجه آخر تتمايز فيه القدرة عن العلم و العلم عن الحياة و هو وجه الغيرية[٥]، هذا هو تعين الكثرة في مقام الأسماء و هو مقام الكثرة الأسمائية الذي توجه إليه آدم.

إنّ التوجه إلى تعينات الكثرة الأسمائية يستلزم التوجه إلى لوازم جهة غيرية الأسماء و الصفات و التي تسمى بأمّ الماهيات أي الأعيان الثابتة التي هي صور الأسماء و من لوازمها، و التوجه إلى الأعيان الثابتة يستلزم التوجه إلى الكثرة التي تقع تحت تلك الماهيات و الأعيان الثابتة و هي الكثرة في عالم الطبيعة: من عالم العقول إلى عالم المادة.

إنّ مقام تعلّم الأسماء و الصفات هو الجهة الوجودية لتلك الأسماء، أي ملاك الوحدة لأن من جهة الوحدة لا يتعين اسم من الأسماء و هذا ما علّمه الله لآدم و هذه هي الشجرة الطيبة، لكن آدم لمخلوقيته نظر إلى الجهة الأخرى للأسماء و هي جهة تحديد الأسماء و تعينها، و هذه الجهة جهة لحاظية تظهر بلحاظ الفاعل المحدود المخلوق لها، و هذه المحدودية في اللحاظ هي الشجرة الخبيثة بل هي أمُّ الخبائث حيث تتولد منها جميع الخبائث، و ذلك لأنه تحت التعينات الأسمائية و الصفاتية تظهر الأعيان الثابتة، وهي أم الماهيات الخارجية.

---

[١] سر الصلاة، ص٤٦؛ و ص ٦١.
[٢] تقريرات الفلسفة، ج٣، ص ٥٤٥.
[٣] تقريرات الفلسفة، ج٣، ص ٥٤٤.
[٤] المصدر السابق.
[٥] مصباح الهداية إلى الخلافة و الولاية، مصباح ٢١ من المشكاة الأولى.

إن خطيئة آدم تكمن في توجهه إلى جهة الكثرة و الغيرية في الأسماء و بذلك أصبح آدم مستعدا كي يتوجه إليه الشيطان الذي هو "خيال الكل" و بالتالي يتوجه آدم إلى عالم الطبيعة.

إن عالم الطبيعة هو الشجرة المنهية حيث عالم استقلال الماهيات و ضعف النور و الوجود و غلبة جهة الظلمة و العدميات و جهات الكثرة و الشرور ، هذه الكثرات هي للماهيات أولا و بالذات و للوجود ثانيا و بالعرض، و هذه الكثرات هي التي يتوجه إليها الانسان مما يؤدي إلى انقطاعه عن مقام القدس.

مراتب الشجرة المنهية

لقد توجه آدم إلى الشجرة المنهية ثم أكل منها، و هذا يعني أن لتلك الخطيئة مراتب تبدأ من توجه آدم إليها و تنتهي بالأكل منها.

عندما علَّم اللهُ آدمَ الأسماء، توجَّه آدم إلى الأسماء فهبط من جنة الفناء إلى جنة الأسماء، ثم انكشفت له حقيقته النفسيَّة و هي تمام العبودية للحق سبحانه و التعلق بالمطلق فنزل من جنة الأسماء إلى جنة الأعيان الثابتة، و مع شهود آدم الحقائق أي تلك الأعيان الثابتة للمخلوقات ظهرت قوى آدم الملكوتية الداخلية و الخارجية، و من القوى الخارجية قوة الشيطان الذي هو خيال الكلّ، هذا ما يؤهله للاستخلاف الإلهي الذي يستلزم توجه آخر من آدم و هو التوجه إلى تدبير المُلك فنزل من جنة الأعيان الثابتة إلى جنة العقل. إنّ هذا التوجه القهري للتدبير في عالم المُلك يستلزم ظهور الكثرة في عالم الخلق، فظهرت الصور الملكوتية المثالية للمخلوقات و هذا يعني نزول آدم إلى جنة عالم المثال و الملكوت، ثم ظهرت الصور المُلكية الطبيعية و التي منها الذرية من بني آدم و الثمار بأنواعها. هذه هي مراتب الشجرة المنهية و التي سنشير إليها في ما يلي باختصار بالاستفادة من عبارات السيد الإمام قدّس سره.

١/ الكثرة الأسمائية

إنّ سر خطيئة آدم هو التوجه إلى الكثرة الأسمائية و هي أول مراتب الكثرة و التي تعتبر روح الشجرة المنهية[١] بل هي مبدأ كل كثرة، فالشجرة كانت شجرة إلهية ذات كثرة أسمائية لكنها تنافي مقام الآدمية الكامل. لأن آدم قد توجَّه إلى الآية (آية المحبوب) و هي الأسماء، و كان الحق أن لا يرى غير جمال المحبوب، و بمجرد أن توجَّه إلى ذي الآية، ارتفع نداء المحبوب في العالم معلِناً أنّ العاشق قد أخطأ (عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى)، حيث انصرف عن محبوبه[٢].

٢/ الوجه النفسي الحادث للخليفة و ذِلته الذاتية

عندما علّم الله آدم الأسماء، و توجه آدم للأسماء خرج من حالة المحو في بحر القِدم و التفت إلى حدوثه و مخلوقيته و عبوديته و تذلّلِه وفقره الذاتي للحق سبحانه و أنه ليس إلا عبدا متمخِّضا في العبودية و هذه مرتبة من مراتب خطيئة آدم، أحدث بها آدم الحدث الأكبر، في مقابل الشيطان الذي علا على الله و استكبر، هذه خطيئة لأن الأنسب إلى حقيقة آدم هو التوجه إلى الحق فقط و ترك التوجه إلى النفس كلِّيًّا حتى إلى مقام ذلّتها و عبوديتها للحق سبحانه.

و بتوجه آدم إلى وجهه النفسي ظهرت قوى آدم عليه السلام الداخلية و القوى الخارجية التي منها "خيال الكل" التي مثّلت حقيقة الشيطان، و أيضا "تسبيح الكل" التي مثّلت حقيقة الملائكة (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ).

---

[١] آداب الصلاة، ص ٦٠؛ و ص ٢٧٨؛ تفسير سورة الحمد، ص ٦١.
[٢] تقريرات الفلسفة، ج١، ص ٨٣ و ٨٤.

٣/ الخلافة و التوجه القهري إلى تدبير الملك

عندما برزت قوى آدم أصبح مؤهلا للخلافة على عالم المُلك، و الخلافة من مراتب خطيئة آدم أبو البشر حيث أنه توجه بأمر من الله سبحانه إلى تدبير عالم الخلق، هذا التوجه القهري إلى تدبير الملك و الاحتياج القهري إلى القمح و غيرها من الأمور الطبيعية يُعدّ خطيئة بالنسبة إلى أولياء الله و المجذوبين[١]، إلا أن هذه الخطيئة أصبحت منشأ انبساط الرحمة في الدنيا و الآخرة. و قد عبّر القرآن عن هذه المرتبة من مراتب خطيئة آدم بالخلافة، و بالخلافة سوف تسري خطيئة آدم إلى ذريّته، إلا أن هذه الخطيئة الطبيعية في مقام الذريّة سوف تكون منشأ اكتساب الكمال و النمو الروحي.

٤/ إدبار العقول الجزئية و التفاتها إلى الكثرة

عندما أقبل آدم على الكثرة الخارجية في عالم الطبيعة بهدف التدبير، أدبرت العقول الجزئية من ذريته للكثرة أيضا و انشغلت بالمظاهر لاكتساب الكمال و النماء الروحاني و الرقي الباطني و هذا أحد معاني خطيئة آدم أيضا[٢]، فعندما أقبل آدم على عالم الطبيعة من أجل الاستخلاف ، أدبرت ذريته من عالم الوحدة و أقبلت على عالم الطبيعة من أجل الاستخلاف أيضاً، إلا أن قصة الاستخلاف عند آدم نبي الله تختلف عنها عند ذريته، و هذا الاختلاف يترتب عليه مرتبة أخرى من خطيئة آدم يرتبط بالذرية.

٥/ الذُريَّة

عندما نلاحظ مجموع ما حُكي عن قصة آدم عليه السلام في القرآن الكريم ندرك حقيقة خطيئة آدم و أنه من مراتب تلك الخطئية دخول آدم في حجاب التعينات، فقد توجه آدم إلى الطبيعة لكي ينقذ ذريته[٣] بأمر الله، و حال آدم هنا شبيه حال الحمامة المُطوَّقة في قصة كليلة و دمنة ، تلك الحمامة التي عندما شاهدت وقوع سِرب الحمام من نوعها في شبكة الصياد، ألقت بنفسها داخل الشبكة كي تعلمهم طريق الخلاص، فأمرتهم جميعا أن يحلّقوا في السماء باتجاه واحد كي يهربوا من الصيّاد و بالفعل حلّقت الحمامات باتجاه واحد معاً فاستطاعوا تقطيع الشبكة، كذلك حال بني آدم، عندما يعمل كل منهم بالآية الكريمة (أَن تَقُومُوا لِلَّهِ) يمكن تقطيع هذه الشبكة التي تمزّق الانسانية عن انسانيتها و تُبعِد الآدمية عن روح آدميتها -أي الفناء المطلق في الحق سبحانه و تعالى-. لقد جاء آدم من أجل تربية الذرية و تعليمها كيفية القيام لله، إلا أنّ ما يتلائم مع آدمية آدم هو التوجه لله و للذرية معاً[٤] بنحو الاعتدال التّام، لكن هذا المقام -أي مقام الجمع بين الوحدة و الكثرة على نحو الاعتدال- مختص بآدم الروحي أي النبي الخاتم صلى الله عليه و آله[٥]، و لذلك تعتبر هذه مرتبة من مراتب خطيئة آدم أبو البشر عليه السلام حيث لم يتمكن من الجمع بين مقامَيّ الكثرة و الوحدة على نحو الاعتدال التّام، و هذا لا يتلائم مع شأن آدم.

عندما تفعلت قوى آدم أبو البشر الداخلية و الخارجية، تفعّلت أيضا قوى ذريته و هذا من ممهدات العالم الانساني كي يتحقق الاستخلاف في الأرض، هذا من جهة. من جهة أخرى، لابدّ من بسط الأرض للحياة الانسانية و تعميم اللّذات الروحية و العقلية و الحسيّة و ذلك لكي تصل الذريّة إلى كمالها المطلوب، فظهرت الصور الملكوتية لأنواع من المخلوقات.

---

[١] شرح الأربعون حديثا، ص ١٢٣.
[٢] جنود العقل و الجهل، ص ٣٣.
[٣] آداب الصلاة، ص ٣٥٤؛ تقريرات الفلسفة ، ج٣ ، ص ٥٤٦.
[٤] تقريرات الفلسفة، ج٣، ص ٥٤٤.
[٥] مصباح الهداية إلى الخلافة و الولاية، مصباح ١٦ و مصباح ٣٣ من المشكاة الأولى.

٦/ الصورة الملكوتية للشجرة المنهية بأنواعها كالثمار و الفواكه[١] و الولاية و غيرها

تظهر الشجرة المنهية في عالم الطبيعة بمظاهر متعددة، وهي لازم من لوازم تكامل الذرية كالعلم و الولاية و أنواع الثمار و الفواكه كالحنطة و القمح و غيرها، و من مميزات شجرة جنة آدم أنها تشتمل على كل الصور الملكوتية لكل خير و بركة، ورد في عيون أخبار الرضا، عليه السلام، ما حاصله أن بعض الرواة سأل الرضا، عليه السلام، عن تناول آدم من الشجرة المنهية بأنا روينا في ذلك مختلفاً، ففي بعضها الحنطة و في بعضها غير ذلك، قال (عليه السلام): إن طعام الجنة فيها طعم كل الأطعمة[٢].

٧/ الصورة المُلكية الطبيعية للشجرة المنهية و شؤونها[٣]

هذه المرتبة عامة لآدم و بنيه حسب المراتب و المظاهر، و ذلك لأن ما يلائم آدم هو مقام الفناء الذاتي فعندما توجه للكثرة جاء النداء (عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى). و بالتالي فإن هذا الهجران القهري لآدم عليه السلام عن مقام الفناء الذاتي حيث هجر آدم المحبوب فابتُلي بالهجران التام و أُهبط إلى عالم الطبيعة التي هي منتهى جلوات المحبوب، و لذلك عبّر السيد الإمام في عدة مواطن أن من مراتب خطيئة آدم: توجهه إلى شجرة الطبيعة، إلا أنّ آدم توجه إلى شجرة الطبيعة قهرا و بأمر تكويني إلهي و هو ما يُعرف بالاستخلاف و من أجل هداية الناس.

أما غير المعصوم فإنّ مبادئ كل معاصيه بأنواعها هي من شؤون الأكل من الشجرة المنهية أو الميل إلى الأكل منها، كحب النفس و حب الدنيا.

النتيجة

يستفاد مما ذُكِر أن السيد الإمام يرى أن خطيئة آدم لها مراتب في الظهور تبدأ من الكثرة الأسمائية و تنتهي بشجرة الطبيعة و شؤونها.

بالتأمل في مراتب خطيئة آدم يمكن أن نتعرف على أصل الانسان و حقيقته و كيف ينبغي أن يعود إلى تلك الحقيقة أي أن سر خطيئة آدم يكمن في كونها جامعة لقوسي النزول و الصعود.

كما يستفاد من مراتب خطيئة آدم أنّ هناك مراتب لجنة آدم أيضا، و بهذا يمكن الجمع بين أقوال العرفاء و المفسرين الذين اختلفوا في بيان حقيقة جنّة آدم. لقد أشار السيد الإمام أنّ لكل مرتبة من مراتب الخطيئة خصوصيات و لوازم و أحكام و ظهورات، هذا يعني أنّ كل مرتبة من مراتب الخطيئة هي عبارة عن تجلٍّ من التجليات و عالم من العوالم حتى تصل تلك التجليات إلى عالم الطبيعة و هو أضعفها. كما يمكن القول أن سجود الملائكة و استكبار إبليس كان في جنة عقلية، أما وسوسة إبليس لآدم كان في جنة مثالية لأن إبليس عندما استكبر و شطن تنزل من مرتبة العقل إلى مرتبة أدنى و هي المثال، لذلك نجد بعض المفسرين يفسِّر جنة آدم بأنها جنة مثالية ، و البعض الآخر يرى أنها جنة عقلية، و قد بيّنا أن ظهور كل هذه المراتب كان ببركة تعليم الله الأسماء لآدم من أجل الاستخلاف، فبالتالي الكلام هنا عن فيض نازل و بنزوله تظهر مراتب من البركة و التفضل الإلهي.

---

[١] آداب الصلاة ، ص ٧٠.
[٢] شرح دعاء السحر، ص ٢٦.
[٣] آداب الصلاة، ص ٧٠.

العلاقة بين الكشف و الشهود و خطيئة آدم عند السيد الإمام

الكشف و الشهود عند السيد الإمام

بالتأمل في عبارات السيد الإمام نجد أنه يعرّف الكشف و الشهود تعريفات تنزيهية بمعنى إسقاط الإضافات و المتعلقات و التطهُّر من الحُجُب بكل أنواعها المُلكية و الملكوتية بل حتى الحجب النورية الأسمائية[1].

يقول السيد الإمام: "العلم بالله على نحو البرهان أيضاً ليس مقصودا أصلياً، بل الميزان في الكمال هو معرفة الله ، التي تعتبر أخيرة مراتبها الفناء المطلق، وهو ترك المظاهر و رفض غبار الأنانية و الإنية رزقنا الله و جميع المؤمنين"[2]

مُتعلَّق الكشف و الشهود عند السيد الإمام

كما أن مُتعلَّق الكشف و الشهود عند السيد الإمام هو الفطرة الانسانية، و هذا يظهر بشكل واضح جدا في كتاب حنود العقل و الجهل، إنّ الانسان مفطور على أن يكون مجرى إرادة الله، إلا أنّ الفطرة التي تميزت بالتبعية التامة و الكاملة و الانقطاع التام المطلق لله سبحانه هي فطرة النبي الأكرم صلى الله عليه و آله، و الأئمة عليهم السلام متصلون به بحسب الفطرة لا بحسب الطينة ، و هذا الاتصال أيضا يتميز بالتمام و الكمال لذلك لهم العصمة المطلقة[3] و هذه هي السعادة المطلقة.

بمقدار ما تتلوث نور الفطرة بالقذارات الصورية أو المعنوية فإنها بذلك المقدار تهجر حضرة الأنس و القرب الإلهي ، حتى أنّ نور الفطرة قد ينطفئ بالكليّة فتصبح المملكة الانسانية شيطانية و هذا هو الشقاء المطلق.

و بين هاتين المرتبتين مقامات و مراتب لا يحصيها إلا الله سبحانه. كما أنّ كل من كان أقرب إلى أفق النبوة هو من أصحاب اليمين، و كل من كان أقرب إلى أفق الشيطنة فهو من أصحاب اليسار[4]. أي أنّ السالك لله سبحانه يجب أن يشاهد أفق النبوة في سلوكه و يقترب من ذلك الأفق حتى يعاين أنه ليس إلا مظهر من مظاهر العقل الكلي الذي أشار له النبي الأكرم في روايته لجابر (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر)، فعندما يضمحلّ السالك في الخليفة محمد صلى الله عليه و آله في عالم العقل ، يصبح مؤهلاً للاستخلاف و عبور الحجب النورية الأسمائية.

العلاقة بين مراتب الكشف و الشهود و خطيئة آدم عند السيد الإمام

يقول السيد الإمام: "و لما كان لخطيئة آدم مراتب و مظاهر تبدأ من الإلتفات نحو الكثرات الأسمائية و تنتهي بمرتبتها الأخيرة المتمثلة بالأكل من الشجرة المنهيّ عنها، و هي شجرة فيها أنواع الثمار و الفواكه في عالم الملكوت، و الطبيعة و ما يتعلق بها في عالم الملك... ، كذلك كان الحال في التطهير و التنزيه، فالصلاة و الصيام إنما هي مراتب كثيرة شرّعت من أجل إخراج ذرية آدم من خطيئة الأب ، و هي مراتب تناسب مراتب الخطيئة تلك"[5].

---

[1] مصباح الهداية إلى الخلافة و الولاية، مصباح ٣٠ من المشكاة الأولى.
[2] جنود العقل الجهل، ص ٢٥٥.
[3] آداب الصلاة، ص ٦٠.
[4] المصدر السابق.
[5] آداب الصلاة، ص١١١.

يستفاد من هذه العبارة أن السيد الإمام يرى أن مراتب الكشف و الشهود متناسبة و متطابقة مع مراتب خطيئة آدم عليه السلام.

و قد بيّنا في المبحث السابق أنّ السيد الإمام أشار في آثاره إلى سبعة مراتب من مراتب خطيئة آدم، بناء على ذلك فإننا سوف نبين مراتب الكشف و الشهود عند السيد الإمام بما يتناسب مع تلك المراتب السبعة، أي أننا سنجعل مراتب خطيئة آدم أساساً نعتمد عليه في بيان مراتب الكشف و الشهود عند السيد الإمام.

مراتب الكشف و الشهود عند السيد الإمام

١/ الطهارة القالبية و الاستنان بسنن الله و الإئتمار بأمره سبحانه[١]

إنّ الطهارة القالبية الظاهرية ضرورية عند الكمّل و أهل السلوك على السواء، هذه الطهارة بالنسبة للكُمّل من الأنبياء و الأولياء هي ظلّ الطهارة القلبيّة و الروحية و كلما كانت طهارة القلب و الروح أشد كلما كانت العبادات الظاهرية أشدّ و أكثر، و بهذا ندرك عبادات النبي و الأئمة عليهم السلام، و أنّهم صادقون قاصدون الله في بكائهم و اعترافهم بين يديّ الله بالظلم لأنفسهم و التقصير في حقّ الله، و هي بالنسبة لأهل السير و السلوك و سيلة للسير و السلوك.

لقد ذُكرت قصة آدم و أكله من الشجرة في بيان علل تشريع كثير من العبادات، منها باب الوضوء و الصلاة و الغُسل و صوم شهر رمضان و كثير من مناسك الحج[٢]. إنّ قصة آدم هي قصة الفناء في الله و التنزل من جنة الفناء إلى آخر التجليات و أضعفها أي الدنيا، فهذا التأكيد على قصة آدم في العبادات يجعلنا نُدرك أنّ كل انسان هو (بذرة لقاء) مع الله، لقد اختار الله الانسان و خمّره بيديّ جماله و جلاله و جعله مسجود الملائكة و محسود إبليس، لكي تنمو هذه البذرة و تصل إلى المقصود و المنشود، و طريق الوصول إلى جنة الفناء يبدأ من العبادات و التي تحقق الطهارة القالبية.

يمكن القول أن الطهارة الظاهرية القالبية تطابق الصور المُلكية الطبيعية للشجرة المنهية، و المقصود من الطهارة الظاهرية ليس هو مجرّد الوضوء و الصلاة و الصيام، يرى السيد الإمام أنّ الانسان إذا توقف في حجاب تعيّن الأعضاء و طهارتها، فهو ليس من أهل السلوك و هو باقٍ في الخطيئة[٣].

مشكلة الانسان بل الجنابة الحقيقية التي يجب أن يتطهر منها الانسان هي الفناء في الطبيعة و الغفلة عن الروحانية ، على الانسان أن يغتسل من هذه الخطيئة بالدخول في سلطان الرحمانية و التصرف الإلهي أي أن ينير قلبه بنور الله و تستظل روحه بتجليات الله سبحانه كما سيأتي. إنّ التوجه إلى البدن هو جنابة باطن القلب و سرّ الروح. و الإقبال على الدنيا و الأكل من شجرة الطبيعة هو أصل أصول الجنابة.

لقد أمر الله الانسان بالإقبال إلى الدنيا ليتكامل و تنمو بذرته الانسانية ، و لا يتم ذلك إلا مع الإدبار عن الدنيا و عدم التعلق بها، و لكي يتخلص الانسان من التعلق بالدنيا عليه أن يصرف تعلقه إلى النظر إلى رحمة الله و التعلق بعرش الرحمن سبحانه و تدبيره، يقول الله تعالى: (الله نور السماوات و الأرض) أي لا توجد سماء و لا أرض، كل ما تشاهده هو نور تجلي اسم الله ، فليس للسماء نور بذاتها و ليس للأرض نور بذاتها، إنما هو نور اسم الله، بل لكل الكثرات في عالم الطبيعة منبع واحد و كلها مظاهر لحقيقة واحدة، بالتالي فإننا طالما ننظر للطبيعة بعين الكثرة فإننا نعيش الشرك و الكفر

---

[١] آداب الصلاة، ص٦٠.
[٢] آداب الصلاة ، ص ٧٠.
[٣] آداب الصلاة، ٧٢ - ٧٦.

الذاتيين و لا ندرك حقيقة التوحيد الذاتي، كما أننا في شرك فعلي و لا علم لنا بالتوحيد الفعلي و نلحد بالصفات فنتصور أن فلان قادر و فلان عالم و نميّز بين علم كل مخلوق و قدرته عن علم و قدرة الله سبحانه و غيرها من الأسماء و الصفات، فتتعدد عندنا الصفات و الأسماء و الأفعال و الذوات، و كل هذا شرك في الأسماء و الصفات الإلهية و الفعل الإلهي و الذات الإلهية. إنّ التوجه إلى عالم الطبيعة و الانغماس في الماهيات الخارجية المتكثّرة يجعل الانسان محاطا بالكفر و التيه.

إذن إذا أردت الخروج من جنابة أبيك و هي توجهه الى شجرة الطبيعة و صورها المُلكية بكل أنواعها و شؤونها، التي منها حب النفس و حب الدنيا، يجب أن تغسِل باطنك بغسل الرحمة و تتوب و تجتثّ جذور حب الدنيا الخبيثة[1] من قلبك لأن جنة اللقاء للطيبين (لا يدخل الجنة إلا الطيب)، فعليك أن تنشغل بمراتب الطهارة، و أولها العبادات، من هنا يبدأ سلوك الانسان و طهارته، بل تبدأ انسانيته بالظهور.

يبدأ السلوك[2] عندما ينشغل الانسان بمراتب الطهارة مع اعتقاده بأن الطهارات الصورية القشرية وسيلة للطهارة المعنوية اللُّبيّة، فيلحظ حظ القلب و نصيبه في كل العبادات و المناسك ، و كلما ازداد اهتمامه بعروج القلب و جعله مقصده في المناسك و الأعمال كلما اقترب من أفق التوحيد و النبوة، جاء في الروايات: (و طهّر قلبك بالتقوى و اليقين عند طهارة جوارحك بالماء). إذن الطهارة القالبية تعتمد على مقدار توجه الانسان إلى الطهارة القلبية. هذه هي المرتبة الأولى من الكشف و الشهود فيشاهد السالك أفق من التقوى و اليقين في التزامه بأوامر الله و تركه لنواهيه.

٢/ الطهارة من ملكوت الشجرة المنهية بالتحلي بالفضائل

عندما تُغلق العين الطبيعية عند الانسان و تُفتح عين البصيرة ، ترى النفس عالم الطبيعة تحت قدميها و تشاهد موجودات لطيفة في عالم المثال، تتوجه إلى أنّ ملكات النفس هي التي ترسم شاكلتها في ذلك العالم ، و هذه المرتبة من المكاشفة تقابل الصورة الملكوتية للشجرة المنهية و التي يتطهر منها الانسان بالتحلي بالفضائل و فواضل الملكات الأخلاقية. إن الانسان الفاني في الطبيعة يُبتلى بغرور الشيطان الذي كان منه هلاكه.

على السالك أن يختار الحضور في محضر الحق سبحانه و أن يترك رجز الشيطان و ما لم يخرج من أمهات الأخلاق الذميمة، مبدأ فساد المدينة الانسانية الفاضلة، و منشأ الخطيئات الظاهرية و الباطنيّة فإنه لن يجد طريقا إلى المقصود.

كان الشيطان مجاوراً لعالم القدس و يعدّ من الكرّوبيين لكنه أُخرج و طُرد من ذلك المقام بسبب الملكات الخبيثة : (فاخْرُجْ مِنْها فَانَّكَ رَجيم). أول الخبائث التي يجب أن نتطهّر منها هي التكبّر، لقد استكبر الشيطان على أوامر الله و رفض الطاعة عندما نظر إلى حقيقته النارية فأُعجِب بها (أنا خيرٌ منه) ثم حقّر آدم (و خَلَقْتَهُ مِنْ طين)، و لم ير روحانية آدم و كمالاته، لقد رأى ترابيّة آدم و ناريّته و غفل عن العجب و الاستكبار الذي أخذ ينمو في باطنه، أصبح "حبّ النفس" هو الحجاب الذي يستر نقصه و عيوبه، فعصى و هبط من معراج القدس إلى تيه الظلمات في عالم الطبيعة.

على السالك أن يلتفت إلى الأرجاس الشيطانية و يطهّر باطنه منها و أن يخلع نعليه: حب الجاه و الشرف و النفس من جهة و حب الذريّة و الأهل من جهة أخرى.

---

[1] آداب الصلاة، ص ٧٤.

[2] راجع: تقريرات الفلسفة، ج١، ص ٨٠ – ٨٤.

هناك من يتوقف سيره و سلوكه في عالم المثال و يكتفي بما يشاهده من ملكوت و أسرار عالم الطبيعة ، و هناك من يمنعه الشيطان من الترقي أكثر من ذلك فيفرح بهذا المستوى من المكاشفات. لكن إذا قويت النفس و جاهدت الشيطان و تلبيساته فإنها تترقى إلى عالم العقول الكلية و النفوس الكلية و ترى بالعيان العقل الكلي و النفس الكلية.

٣/ الطهارة القلبية من الذرية

لكي يعرج السالك إلى عالم العقل الكلي و النفس الكلية، لابد أن يتخلص من خطيئة التعلق بالذرية، يطلق السيد الإمام على هذه المرتبة "الطهارة القلبية" التي هي عبارة عن تسليم القلب للحق، و هذا يتم على مراتب، المرتبة الأولى منه: على السالك أن يُخفض جناحه في حضرة كبرياء الحق تعالى[١] ، حيث أنّ أول ما شغل آدم هو هداية ذريته، و غالبا ما ينشغل الانسان السالك بهداية ذريته إلا أنه غالبا في سلوكه يتصف بوصف السيادة و المولوية و يستهلك كل قواه الباطنية و الخارجية في سبيل ذلك، بمجرد أن يعيش الانسان هذه الحالة مع ذريته فإنه يقع في حالة من الغربة و الضياع عن هويته الانسانية، فيجب أن يتطهر السالك من هذه المرتبة من مراتب الخطيئة و ذلك بخفض الجناح أولا، و ثانيا أن يتعلق بالله سبحانه ، و ينظر إلى ما سوى الله على أنها رحمة الله، حتى تصبح كل قواه الباطنية نور إلهي و نور على نور ، و بنور الله يهدي و يرشد غيره من الذرية، و لعل هذا ما يستفاد من الحديث القدسي : (أَنَا اللَّه؛ و أَنَا الرَّحْمنُ. خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَ شَقَقْتُ لَها اسما مِنْ اسْمي؛ فَمَنْ وَصَلَها وَصَلْتُهُ، وَ مَنْ قَطَعَها قَطَعْتَه) يرى السيد الإمام أن من مراتب هذا الحديث القدسي و بطونه إرجاع الرحم إلى الرحمة الإلهية و هو موطنها الأصلي و هذا ما يتناسب مع عبودية السالك، و بهذا يصبغ علاقاته بأفراد نوعه بل حتى علاقته بالطبيعة بصبغة رحمة الله ، في الحديث عَن أبي عبدِ اللَّه (عليه السلام) قال: اسْتَوْصُوا بِعَمَّتِكُمُ النَخْلَةِ خَيْراً؛ فَإِنَّها خُلِقَتْ مِنْ طينَةِ آدم. هذا الحديث أيضا يشير إلى تلك الرَّحِميّة المذكورة و التي أُمر الانسان بحفظها و رعايتها[٢]، هنا نؤكد على أن رعاية هذه الرحِميّة يكون بإرجاعها إلى أصلها موطن العبودية لله سبحانه و تعالى و صبغها بصبغة الله، حتى يصبح القلب إلهيّا أي يتجلى الله في كل مراتب الانسان الظاهرية و الباطنية.

٤/ الطهارة من إدبار العقل و إلتفاته إلى الكثرة

و لكي يعرج السالك إلى عالم العقل الكلي يجب أن يتطهر أيضا من كل توجه فيه نحو من الكثرة أو توهم الكثرة، يتطهر السالك من تلك التوجهات بالسلوك العلمي أي أن يتعرف على مراتب العبادة عن طريق أهل بيت العصمة عليهم السلام و أن يتيقّن بأن العبادات الصورية هي مرتبة نازلة من العبادات القلبية و الروحية و أنّ عبادته ليست إلا أثر من آثار عبادة المعصوم و الهادي عليه السلام، و أن يشاهد نفسه أنه ليس إلا مظهر من مظاهر عقل الكل، و أنّ كل هذه المظاهر ليست إلا آيات يجب تجاوزها إلى ذي الآية، عند ذلك يمكن للسالك تخلية النفس من غير الحق.

٥ و ٦ / الطهارة من الاستخلاف و تدبير المُلك و زوال الوجه النفسي

إلى هنا لا يزال السلوك معلّلاً بل هو سلوك في جوف النفس، فما لم يخرج السالك من بيت النفس بالكلية فإن العابد عنده هو النفس و المعبود هو الشيطان. إنّ التجلية بالتجليات الأسمائية و الذاتية لا تقع إلا بهتك حجب العبودية و الاضمحلال في الربوبية و عندما تختفي العبودية بالكليّة يظهر نور الربوبية في مملكة الانسان السالك، عندها يرتقي إلى حجاب آخر و هو الاستخلاف و تدبير عالم الملك فيصبح كل العالم محبوب عنده لأنه يرى الله بجماله و جلاله في كل شيء و يشاهد ربوبية الحق سبحانه و تدبيره ، و أنه ليس إلا مظهر من مظاهر هذا التدبير الربّاني، فيشعر السالك بالطمأنينة و

---

[١] آداب الصلاة، ص ٣٥٤.

[٢] آداب الصلاة، ص ٨٠.

الأُنس، عندما يزول التوجه للنفس بالكليّة حتى بعنوان العبودية، يصبح العابد و المعبود هو الحق فيحصل مقام قرب النوافل "و كُنْتُ سَمْعَهُ و بَصَرَه" هنا يتطهر الحادث من حدوثه بالبقاء في بحر القِدم و تكتمل الطهارة عند خروج السالك من الكثرة الأسمائية[1] -التي هي باطن خطيئة آدم و مبدأ التوجه إلى كل أنواع الكثرة- و ذلك يتم بالطهارة الروحية.

٦/ الطهارة الروحية

يرتقي السالك إلى مشاهدة الظاهر فقط دون المظاهر و الآيات، هنا يشاهد السالك أن الظاهر في العوالم السفلى من السماوات و الأرض و عالم الملكوت و عالم العقول و النفوس هو الأسماء، فتتجلى على قلب السالك التجليات الحبيّة و الكثرة الأسمائية، فيستتر السالك في تلك التجليات الحبية و هي على نحوين: تجليات جلالية ينال فيها السالك (أسرار الطهارات)، و تجليات جمالية يشاهد فيها السالك (غايات العبادات)، و إذا توقف السالك في مرتبة الكثرة الأسمائية فإنه لن يصل إلى توحيد الذات و الصفات و الأسماء و يبقى محجوباً عن جمال المعشوق بانشغاله في أنوار التجليات الأسمائية، فإن كان طالباً للرحمة يتوجه إلى اسم الرحمن الرحيم، و إن كان شجاعا لا يخاف ينشغل باسم القهّار المنتقِم و هكذا.

و إن كان عاشقاً صادقاً لجمال الجميل فإنه سيعبُر من الأسماء المحاطة إلى اسم المحيط أي اسم الله الأعظم الجامع للأسماء و الصفات، و إذا عبر اسم المحيط أيضاً أي عبر من الأسماء بالكليّة[2] فلا يرى اسما و لا رسم و لا عالم عقل و لا مثال و لا نار و لا جنة و لا عالم جسم و لا طبيعة، هذا يعني أن غفل عن الظل و وصل إلى ذي الظل و اجتاز الآيات إلى ذي الآية فأصبح متولّها لجمال الجميل و من أهل التوحيد، وصل إلى حالة من وحدة التجلّي و اضمحلال الكثرات و هذا الوجه الآخر للأسماء، تكون فيه الأسماء حقيقة واحدة لا تكثر فيها و لا تمايز بينها، و هذا الوجه يمثّل حقيقته الانسانية و هو جنة الفناء الذاتي، جنة آدم عليه السلام، هذا الذي عبّرت عنه الآية الشريفة في سورة الحمد (إياك نعبد)، (إياك) توصِل الانسان إلى التوحيد الذاتي و هو غاية السير و السلوك حيث ينصرف وجه القلب عن كل كثرة حتى الكثرة الأسمائية[3]. و هذا ما عبّر عنه مولى الموحدين عليه السلام في قوله: (كمال توحيده الإخلاص له و كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه) و قال فيه زين العابدين عليه السلام: (و ضلّت فيك الصفات و تفسّخت دونك النعوت و حارت في كبريائك لطائف الأوهام)[4].

عندما يصل السالك إلى هذا المقام فإنه تجاوز كل مراحل خطيئة آدم و رجع إلى جنة الفناء الذاتي و تحقق بحقيقة التوحيد فلا يشاهد إلا جمال المحبوب و بذلك تقوم القيامة الكبرى عند السالك.

النتيجة

تبيّن مما ذكر أنّ السيد الإمام يعرّف الكشف و الشهود بإسقاط الحجب و الإضافات من عالم الطبيعة إلى عالم الأسماء و أن السير و السلوك في عوالم التجليات هو سير فطري فالانسان مفطور على هذا النحو من الرجوع لله سبحانه و يطلب هذا النوع من السير و السلوك.

كما أنّ للسير و السلوك مراتب تتطابق مع مراتب خطيئة آدم عليه السلام في آثار السيد الإمام قدّس سرّه، تبدأ في قوس الصعود من إسقاط حجاب عالم الطبيعة و شؤونه و الذي ينطلق من حب

---

[1] آداب الصلاة، ص ٧٦.
[2] تقريرات الفلسفة، ج١، ص ٨٣.
[3] تفسير سورة الحمد، ص ٦٠.
[4] تقريرات الفلسفة ، ج١، ص ٨٥.

الدنيا و التعلق بها، يبين السيد الإمام أنّ إسقاط هذا الحجاب يتم بالتعلق بعرش الله و رحمته سبحانه، و بمقدار ما يتمكن السالك من إسقاط حجاب عالم الطبيعة تتجلى له الصور المكلوتية أي يعرج في عالم الملكوت و عالم المثال، إلا أنه يجب أن لا يكتفي بهذا العروج و لا ينشغل بمكاشفات عالم المثال، و عليه أن يطهّر قلبه و عقله عن كل تعلق بالكثرة حتى لو كان هذا التعلق من أجل هداية الغير و الاستخلاف، و أن يصبغ هذه الهداية بصبغة الله و يراها في محيط الرحمة الإلهية، و يشاهدها في أفق النبوة و الولاية كي يرد عالم الروح و يشاهد أن كل تلك المظاهر هي مظاهر الأسماء الإلهية بل هي مظهر اسم الله الأعظم بل هي آيات و ظلال للذات الإلهية ، و بذلك تكتمل عند السالم مراتب الظاهرة و تقوم قيامته الأنفسية الكبرى، حيث يصل إلى جنة الفناء الذاتي، جنة أبينا آدم عليه السلام.

النتيجة النهائية

يستفاد مما ذُكِر أن السيد الإمام يرى أن خطيئة آدم لها مراتب في الظهور تبدأ من الكثرة الأسمائية و تنتهي بشجرة الطبيعة و شؤونها.

يرى السيد الإمام أنّ خطيئة آدم قد بدأت من تعليم الله الأسماء لآدم و أنّ مراتب الخطيئة كانت التوجه للكثرة الأسمائية و هي باطن الشجرة المنهية، و بذلك يهبط آدم من جنة الفناء الذاتي إلى جنة الأسماء. ثم تمتدّ هذه الخطيئة امتدادا ظلّياً و تتجلى في توجه آدم إلى عبوديته المطلقة لله سبحانه و تبعيّته التامة له عز و جل لما علّمه الله سبحانه إياه، مما جعله يهبط من جنة الأسماء إلى جنة الأعيان الثابتة التي هي صور الأسماء و لوازمها، و مع شهود آدم الحقائق أي تلك الأعيان الثابتة للمخلوقات ظهرت قوى آدم الملكوتية الداخلية و الخارجية، و من القوى الخارجية قوة الشيطان الذي هو خيال الكلّ، هذا ما يؤهله للاستخلاف الإلهي الذي يستلزم توجه آخر من آدم و هو التوجه إلى تدبير المُلك فنزل من جنة الأعيان الثابتة إلى جنة العقل. إنّ هذا التوجه القهري للتدبير في عالم المُلك يستلزم ظهور الكثرة في عالم الخلق، فظهرت الصور الملكوتية المثالية للمخلوقات و هذا يعني نزول آدم إلى جنة عالم المثال و الملكوت، ثم ظهرت الصور المُلكية الطبيعية و التي منها الذرية من بني آدم و الثمار بأنواعها. هذه هي مراتب الشجرة المنهية.

لقد أُهبط آدم لعالم الطبيعة ليفتح باب التكامل الانساني، و يرى السيد الإمام أنّه لو لم يرتكب آدم هذه الخطيئة بكل مراتبها لسقط من الآدمية و لما فتحت أبواب الكمال الانساني و لاحترق في جنة الفناء الذاتي و الوحدانية دون أن تظهر معالم للانسان و الأكون و العوالم.

كما أنّ للسير و السلوك مراتب تتطابق مع مراتب خطيئة آدم عليه السلام في آثار السيد الإمام قدّس سرّه، تبدأ في قوس الصعود من إسقاط حجاب عالم الطبيعة و شؤونه و الذي ينطلق من حب الدنيا و التعلق بها، يبين السيد الإمام أنّ إسقاط هذا الحجاب يتم بالتعلق بعرش الله و رحمته سبحانه، و بمقدار ما يتمكن السالك من إسقاط حجاب عالم الطبيعة فإنه يشاهد الصور المكلوتية أي يعرج في عالم الملكوت و عالم المثال، إلا أنه يجب أن لا يكتفي بهذا العروج و لا ينشغل بمكاشفات عالم المثال، و عليه أن يطهّر قلبه و عقله عن كل تعلق بالكثرة حتى لو كان هذا التعلق من أجل هداية الغير و الاستخلاف، و أن يصبغ هذه الهداية بصبغة الله و يراها في محيط الرحمة الإلهية، و يشاهدها في أفق النبوة و الولاية كي يرِد عالم الروح و يشاهد أنّ كل تلك المظاهر هي مظاهر الأسماء الإلهية بل هي مظهر اسم الله الأعظم بل هي آيات و ظلال للذات الإلهية، و بذلك تكتمل عند السالم مراتب الطهارة و تقوم قيامته الأنفسية الكبرى، حيث يصل إلى جنة الفناء الذاتي، جنة أبينا آدم عليه السلام.

منابع

- القرآن الكريم
- نهج البلاغة

١. السيد الإمام الخميني، روح الله؛ آداب الصلاة (فارسي)؛ قم: مؤسسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخميني، ١٣٧٠ هـ ش، ط١.

٢. _____؛ آداب الصلاة (عربي)؛ قم: مؤسسة تنظيم و نشر تراث الإمام الخميني، ١٣٩٣ هـ ش، ط٩.

٣. _____؛ تعليقات على شرح الفصوص و مصباح الأنس (عربي)؛ قم: دفتر تبليغات إسلامي حوزه علميه قم، ١٤١٠ هـ ق، ط٢.

٤. _____؛ تفسير سورة الحمد (فارسي)؛ قم: مؤسسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخميني.

٥. _____؛ تقرير: السيد عبدالغني الأردبيلي، تقريرات فلسفه (فارسي)؛ قم: مؤسسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخميني، ١٣٧٠ هـ ش، ط١.

٦. _____؛ سر الصلاة (فارسي)؛ قم: مؤسسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخميني، ١٣٧٨ هـ ش، ط٦.

٧. _____؛ شرح دعاء السحر (عربي)؛ قم: مؤسسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخميني.

٨. _____؛ شرح الأربعون حديثاً (فارسي)؛ قم: مؤسسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخميني.

٩. _____؛ تعريب العلامة أحمد الفهري؛ شرح حديث جنود العقل و الجهل (عربي)؛ بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٣٠ هـ ق، ط١.

١٠. _____؛ شرح حديث جنود العقل و الجهل (فارسي)؛ قم: مؤسسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخميني، ١٣٧٧ هـ ش، ط١.